

# ثلاث رسائل في تربية الأبناء

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

## مقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اللطيف الرؤوف المنان، الغني القوي السلطان، الحليم الكريم الرحيم الرحمان، الأول فلا شئ قبله والأخر فلا شئ بعده، والظاهر فلا شئ فوقه، والباطن فلا شئ دونه، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أرسى الأرض بالجبال في نواحيها وأرسل السحاب الثقال بماء يحييها، ثم قضى بالفناء علي جميع ساكنيها، ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسني، أحمده عز وجل وأشكره ومن مساوي عملي أستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جل عن الأشباه والأمثال وتقدس عن الشركاء والأضداد، لا مانع لما أعطي ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد، وأشهد أن سيدنا وحبينا وإمامنا وقدوتنا وأسوتنا محمد رسول الله عترته خير عتره، وسيرته خير سيرة، وشجرته خير شجرة نبتت في حرم وبسقت في كرم، أرسله الله بشيرا ونذيرا وداعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، ففتح الله به أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا، فصلوات الله عليه وعلي آله وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

### وبعد . . .

فإن مسؤولية تربية الأولاد من أعظم المسؤوليات وأجل المهمات ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

### وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) سورة النحریم .

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَإِمَامٌ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٢١/٢) (٦٠٢٦) و"البخاري" ١/٢ و٦/٤ (٢٧٥١) و"مسلم" ٨/٦ (٤٧٥٥) .

وهذه المسؤولية سوف يحاسب عليها العبد يوم القيامة وعن الحسن عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُسْتَرْعَى رَعِيَّةً يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » .. مسلم: الإيمان (١٢٥/١) م (٢٢٧) ، والبخاري: الأحكام (١٢٧/١٣) م (٧١٥١) ، وأحمد في المسند (٢٥/٥) .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا ، أَنْ يُضَيَّعَ مَنْ يَقُوتُ . أَخْرَجَهُ "أحمد" ١٦٠/٢ (٦٤٩٥) و"أبو داود" ١٦٩٢ و"النسائي" ، وفي "الكبرى" الألباني (حسن) انظر حديث رقم: ٤٤٨١ في صحيح الجامع .

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةٍ جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ

٣/٣٩٣ (٩٠٩١) و ((البخاري)) ١١٨/٢ (١٣٥٩) و ((مسلم)) ٥٣/٨ (٦٨٥١).

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَأَنْ يُؤَدَّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ ، أَوْ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ بِنِصْفِ صَاعٍ . أخرجه أحمد ٩٦/٥ (٢١٢٠٦) والتِّرْمِذِيُّ " ١٩٥١ .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ولده، فأمر عمر بإحضار الولد، وأنبأ عمر الولد لعقوقه لأبيه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ إقال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب — أي: القرآن —، قال الولد: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك؛ أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعلاً، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت تشكو عقوق ابنك وقد عققته من قبل أن يعقك، وأسأت إليه من قبل أن يسيء إليك. علي بن نافع الشحود: موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٨٤/٤ .

قال الشاعر :

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مَهْلٍ \* \* \* وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكِبَرَةِ الْأَدَبُ  
إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتْهَا اعْتَدَلَتْ \* \* \* وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتْ طَ الْخَشْبُ

وقال آخر:

إِذَا نَكَبَاتِ الدَّهْرُ لَمْ تَعْظِ الْفَتَى \* \* \* عَنِ الْجَهْلِ يَوْمًا لَمْ تَعْظِهِ أُنَامُهُ  
وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ أَبَوُهُ وَأُمُّهُ تَوَدِّبُهُ \* \* \* رَوَعَاتِ الرَّدَى وَزَلَا زَلُهُ  
فَدَمَ عَنْكَ مَا لَا تَسْتَطِيعُ وَلَا تَطْمَحُ \* \* \* هَوَاكَ وَلَا يَذُوبُ بِحَقِّكَ بَاطِلُهُ

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وكم ممن أشقى ولده، وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانتة على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء . تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم، ص ١٤٦، ١٤٧.

قوله تعالى: " رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا " . سورة: الفرقان : ٧٤ .

وهذه ثلاث رسائل في تربية الأبناء :

(١) **الرسالة الأولى : التوحيد الخالص والطاعة والانقياد لله الحق .**

( ٢ ) **الرسالة الثانية : تربية النفس على العفاف والخشية والصدق**

( ٣ ) **الرسالة الثالثة : حسن المعاملة وطيب الخلق مع جميع الخلق**

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي الْيُسْرَى ، وَجَنِّبِي الْعُسْرَى ، وَاعْفُ لِي فِي الْآخِرَةِ  
وَالْأُولَى . اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَوْفَى بِعَهْدِكَ الَّذِي عَاهَدْتُكَ عَلَيْهِ ، وَاجْعَلْنِي  
مِنْ أُمَّةِ الْمُتَّقِينَ ، وَمِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ، وَاعْفُ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ  
الدِّينِ . اللَّهُمَّ فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ ، وَلَا تَشْغَلْنِي بِمَا تَكَفَّلْتَ لِي بِهِ ،  
وَلَا تَحْرِمْنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ .

راجي عفوريه

**دكتور / بدر عبد الحميد هويس**

[hamesabadr@yahoo.com](mailto:hamesabadr@yahoo.com)

في غرة محرم ١٤٣٢هـ = ٦ / ١٢ / ٢٠١٠م

## (١) الرسالة الأولى

### التوحيد الخالص والطاعة والانقياد لله الحق

اهتم الإسلام بتربية الأطفال على عقيدة التوحيد الخالص منذ الصغر، فندب الوالدين إلى التأذين في أذن الطفل حين ولادته حتى يكون أول ما يقرع أذنه كلمات التوحيد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ ، بِالصَّلَاةِ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٩/٦ (٢٤٣٧١) و"أَبُو دَاوُد" ٥١٠٥ (حسن) إرواء الغليل ١/٢٢٩.

قال ابن القيم رحمه الله في بيان سر ذلك : وسر التأذين والله أعلم أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يلقي كلمة التوحيد عند خروجه منها.... وفيه معنى آخر وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان كما كانت فطرة الله التي فطر عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها . انظر : تحفة المودود ص ٣١.

ولقد حذرنا الله جميعاً من الشرك ، . فقال تعالى مخاطباً صفيه محمداً صلى الله عليه وسلم : " وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ

وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) سورة الزمر .

وقال في وصية لقمان لابنه : " وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) سورة لقمان .

وقال أيضاً : يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) سورة لقمان .

ولقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تربية الشباب على العقيدة الصحيحة في الله تعالى ، ويتضح ذلك في وصيته الجامعة المانعة لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه حينما قال له : " يا غُلامُ ، إني أعلمك كلمات : احفظِ الله يحفظك ، احفظِ الله تجده تُجاهك ، إذا سألت ، فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف . أخرجه أحمد (٢٩٣/١) (٢٦٦٩) والترمذي (٢٥١٦) .

وعن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استحيوا من الله حق الحياء ، قال : قلنا : يا رسول الله ، إنا نستحيي والحمد لله ، قال : ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء : أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك ،

فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ. أخرجَه أحمد ٣٨٧/١ (٣٦٧١) الألباني (

حسن ) انظر حديث رقم: ٩٣٥ في صحيح الجامع .

قال ابن القيم : " وتركُ المحاسبة والاسترسال وتسهيلُ الأمور وتمشيُّها ، فإنَّ هذا يقولُ به إلى الهلاكِ ، وهذه حالُ أهلِ الغرورِ ، يُغْمَضُ عَيْنِيهِ عَنِ الْعَوَاقِبِ وَيُمَشَّى الْحَالُ ، وَيَتَكَلَّ عَلَى الْعَفْوِ ، فَيَهْمِلُ مُحَاسَبَةَ نَفْسِهِ وَالنَّظَرَ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ سَهَّلَ عَلَيْهِ مَوَاقِعَ الذُّنُوبِ وَأَنَسَ بِهَا وَعَسَرَ عَلَيْهِ فِطَامُهَا وَلَوْ حَضَرَهُ رُشْدُهُ لَعَلِمَ أَنَّ الْحِمِيَّةَ أَسْهَلُ مِنَ الْفِطَامِ وَتَرَكَ الْمَأْلُوفَ وَالْمَعْتَادَ " . إغاثة اللهفان، (٨٣).

قال الشاعر :

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَبِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ \* \* \* وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ

فَاسْتَحْيِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ \* \* \* وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

لذا فقد أمرنا الله تعالى بتعليم أولادنا وأهلينا الصلاة والمثابرة والاصطبار على ذلك ، قال تعالى: " وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢) سورة طه. وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) سورة يونس .

يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) سورة لقمان .

وَعَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ . أخرجَه أحمد



١٨٠/٣ (٦٦٨٩) و"أبو داود" ٤٩٥ صحيح أبي داود " (٥٠٨ و ٥٠٩) .

وفى حديث عبدالله بن عباس أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين وهى خالته قال : فاضجعت في عرض الوسادة ، واضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها فنام حتى انتصف الليل ، أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح وجهه بيده ، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من آل عمران ، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها ، فأحسن وضوءه ثم قام يصلى . قال ابن عباس : فقامت إلى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى ففركها وصلى ركعتين ثم ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح " . رواه ابن خزيمة في صحيحه ( ٨٩/٣ ) .

ويروي لنا التاريخ أن عمر بن عبد العزيز كان قد أرسله أبوه وهو شاب صغير إلى المدينة المنورة ليتعلم فيها الفقه وعلوم الدين ، وكان صالح بن كيسان مؤدبه والقائم على أمر ملازمته وتوجيهه وإرشاده ، وفي ذات يوم انتبه هذا المؤدب أن عمر بن عبد العزيز لم يحضر صلاة الجماعة وتخلف عنها ، فذهب إليه ليستطلع الأمر فسأله قائلاً : ما أخرجك عن صلاة الجماعة؟ فأجاب عمر : كانت مرجلتي تسكن شعري ، فأجابه صالح متعجباً : وبلغ من تسكين شعرك أنه يؤخرك عن الصلاة!! وكتب بذلك إلى أبيه عبد العزيز بن مروان ، فما كان من أبيه إلا أن أمر بحلق رأسه تأديباً له وتربية وتعليماً حتى لا يعود لمثلها . ( سيرة أعلام النبلاء ١٣٣/٩ ) .

وكان لشريح ابن يدع الكتاب ويهارش الكلاب قال فدعا بقرطاس ودواه فكتب إلى مؤدبه:

تَرَكَ الصَّلَاةَ لِأَكْلِ بَيْسَعَى بِهَا \* \* طَلَبَ إِلَهَ رَاشٍ مَعَ الْغَوَاةِ الرَّجَسِ  
فَإِذَا خَلَوْتَ فَعَضَّهُ بِمَلَامَةٍ \* \* وَعِظَنَّهُ وَعَظَكَ لِلْأَرِيبِ الْكَبِيسِ  
وَإِذَا هَمَمْتَ بِضَرْبِهِ فَبَدْرَةٍ \* \* وَإِذَا بَلَغْتَ بِهَا ثَلَاثًا فَاحْبِسِ  
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا فَعَلْتَ فَنَفْسُهُ \* \* مَعَ مَا يَجْرُ عُنِّي أَعَزَّ الْأَنْفُسِ

انظر : حلية الأولياء : أبو نعيم الأصبهاني ١٣٧/٤ ، وأخبار القضاة لوكيم ٣٠٧ .

إن الاهتمام بتعليم العقيدة للناس ودعوتهم لها ولاسيما الصغار هو منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمصلحين من بعدهم ومن ذلك قوله تعالى عن نوح في دعوته لولده وتحذيره من مصاحبة أهل الضلال : " يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) سورة هود ، وكذلك يقول تعالى عن إبراهيم حين وصى بها أبناءه : " وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) سورة البقرة .

قال ابن الجوزي : كان ملك كثير المال ، وكانت له ابنة لم يكن له ولد غيرها ، وكان يحبها حباً شديداً ، وكان يلهيها بصنوف اللهو ، فمكث كذلك زمناً ، وكان إلى جانب الملك عابداً ، فبينما هو ذات ليلة يقرأ إذ رفع صوته وهو يقول { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحَجَارَةُ } فسمعت الجارية قراءته ، فقالت لجواريتها : كفوا ، فلم يكفوا ، وجعل العابد يردد الآية والجارية تقول لهم : كفوا ، فلم يكفوا ، فوضعت يدها في جيبها فشقت ثيابها ،

فانطلقوا إلى أبيها فأخبروه بالقصة ، فأقبل إليها ، فقال : يا حبيبتى ما حالك منذ الليلة ؟ ما يبكيك ؟ وضمها إليه ، فقالت : أسألك بالله يا أبت ، لله عز وجل دار فيها نار وقودها الناس والحجارة ؟ قال : نعم ، قالت : وما يمنعك يا أبت أن تخبرني ، والله لا أكلتُ طيباً ، ولا نمتُ على لئِنٍ حتى أعلم أين منزلي في الجنة أو النار . انظر: **صفوة الصفوة ( ٤ / ٤٣٧-٤٣٨ )** .

قال المناوي : لأن يؤدب الرجل ولده عندما يبلغ من السن والعقل مبلغاً يحتمل ذلك بأن ينشئه على أخلاق صلحاء المؤمنين ويصونه عن مخالطة المفسدين ويعلمه القرآن والأدب ولسان العرب ويسمعه السنن وأقاويل السلف ويعلمه من أحكام الدين ما لا غنى عنه ويهدده ثم يضربه على نحو الصلاة وغير ذلك : خير له من أن يتصدق بصاع ؛ لأنه إذا أدبه صارت أفعاله من صدقاته الجارية ، وصدقة الصاع ينقطع ثوابها ، وهذا يدوم بدوام الولد والأدب غذاء النفوس وتربيتها للآخرة { **قوا أنفسكم وأهليكم نارا** } **التحريم ٦/** .

فوقائتك نفسك وولدك منها أن تعظها وتزجرها بورودها النار وتقيم أودهم بأنواع التأديب فمن الأدب الموعظة والوعيد والتهديد والضرب والحبس والعطية والنوال والبر فتأديب النفس الزكية الكريمة غير تأديب النفس الكريهة اللئيمة . **فيض القدير ( ٥ / ٢٥٧ )** .

فالنظرية الإسلامية في التربية تقوم على أسس أربعة، هي: تربية الجسد، وتربية الروح، وتربية النفس، وتربية العقل، وهذه الأسس الأربعة تنطلق من قيم الإسلام، وتصدر عن القرآن والسنة ونهج

الصحابة، والسلف الصالح في المحافظة على الفطرة؛ التي فطر الله الناس عليها.

قال ابن القيم رحمه الله:- وكم من أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة، بإهماله وترك تأديبه، وإعانتة على شهواته، ويزعم أنه يُكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء. تحفة المودود ٢٤٢.

قال الشاعر :

حرّض بنيك على الآداب في الصغر \* \* \* كيما تقرّ بهم عيناك في الكبر  
وإنما مثل الآداب تجمعه \* \* \* في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر  
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها \* \* \* ولا يخاف عليها حادث الغير  
الناس اثنان ذو علمٍ ومُسْتَمِعٍ \* \* \* وأعمٍ وسائرهم كاللغو والعكر

فالاهتمام بتعليم الأطفال وتنشئتهم على الاعتقاد الصحيح هو سبب حماية الأمة بإذن الله من الزيغ والضلال ، ولذلك لما قال رجل للأعمش (رحمه الله) هؤلاء الغلمان حولك ؟. قال : اسكت هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك.

وحاجتنا إلى العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتنا إليها فوق كل ضرورة ، لأنه لا سعادة للقلوب ، ولا نعيم ، ولا سرور إلا بأن تعبد ربها وفاطرها تعالى .

## ( ٢ ) الرسالة الثانية

### تربية النفس على العفاف والخشية والصدق

تربية الأبناء على العفاف والخشية والصدق يورثهم حسن الخلق ، ويعودهم على إلف الطاعات وكرهية المعاصي والسيئات ، قال تعالى : " وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) سورة النازعات .

وجاء في وصية لقمان لابنه وهو يعظه : " وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ (١٧) سورة لقمان .

فالعفة هي السياج الذي يحمي الشباب من الوقوع في الرذيلة وبراءات الشيطان ومهاوي الشهوات ، لذا فقد حث الإسلام على غض البصر ، قال تعالى : " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) سورة النور .

وعَنْ ابْنِ بَرِيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ يَا عَلِيُّ ، لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى ، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ. أخرجه أحمد ٣٥١/٥ (٢٣٣٦٢) و"أبو داود" ٢١٤٩ والتِّرْمِذِيُّ ٣٧٧٧ صحيح أبي داود ( ١٨٦٥ ) .

قال الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر \*\*\* ومعظم النار من مستصغر الشرر  
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها \*\*\* فتك السهام بلا قوس ولا وتر؟  
والعبد مادام ذا عين يقلبها \*\*\* في أعين الغيد موقوفاً على الخطر  
يسر مقلته ما ضر مهجته \*\*\* لا مرحباً بسرور عاد بالضرر  
كما حذرنا من الزنا لأنه يتنافى مع العفة والإيمان ، فقال: " **وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) سورة الإسراء.**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ. فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : كَيْفَ يُنْزَعُ الْإِيمَانُ مِنْهُ قَالَ هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. أخرجه البخاري ١٩٧/٨ (٦٧٨٢) و"النسائي" ٦٣/٨ .

عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزَّانَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ائْذَنْهُ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفُتْحِبُّهُ لِابْنَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا

النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفْتَحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ  
قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفْتَحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي  
اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفْتَحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ قَالَ لَا  
وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ  
عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ قَالَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ  
ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٥٦/٥) (٢٢٥٦٤). الألباني في  
"السلسلة الصحيحة" ١/ ٦٤٥.

والخشية تجعل المسلم دائم المراقبة لربه ، فلا يخشى غيره ولا  
يلتمس الأجر ممن سواه ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا يَافِعًا  
أُرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَأَبُو بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ فَرَّاهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَا : يَا غُلَامُ  
هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا ؟ قُلْتُ : إِنِّي مُؤْتَمِنٌ وَلَسْتُ سَاقِيكُمَا ، فَقَالَ  
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ  
؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا ، فَأَعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
وَمَسَحَ الضَّرْعَ وَدَعَا ، فَحَقَلَ الضَّرْعُ ، ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ فَاحْتَلَبَ فِيهَا فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ  
شَرِبْتُ ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ : اقْلِصْ ، فَقَلَصَ ، فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ :  
عَلَّمَنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ؟ قَالَ : إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ ، قَالَ : فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ  
سَبْعِينَ سُورَةً ، لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٧٩/١) (٣٥٩٨).

وهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد فرغ من دفن سليمان  
بن عبد الملك الخليفة الذي كان قبله، وانتهى من الخطبة التي افتتح

بها حكمه بعد أن بايعه الناس، ينزل عن المنبر ويتجه إلى بيته،  
ويأوي إلى حجرته يبتغي أن يصيب ساعة من الراحة بعد هذا الجهد،  
وذلك الغناء اللذين كان فيهما منذ وفاة الخليفة سليمان بن عبد  
الملك . وما يكاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى يقبل عليه ولده عبد  
الملك - وكان يومئذ يتجه نحو السابعة عشرة من عمره - ويقول  
له: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين؟ فقال: يا بني، أريد أن  
أغفو قليلا، فلم تبق في جسدي طاقة، فقال: أتغفو قبل أن ترد المظالم  
إلى أهلها يا أمير المؤمنين؟ فقال: أي بني، إني قد سهرت البارحة  
في عمك سليمان، وإني إذا حان الظهر صليت في الناس، ورددت  
المظالم إلى أهلها إن شاء الله، فقال: ومن لك يا أمير المؤمنين بأن  
تعيش إلى الظهر؟ فألهبت هذه الكلمة عزيمة عمر، وأطارت النوم من  
عينيه وبعثت القوة والعزم في جسده المتعب، وقال: ادن مني أي  
بني، فدنا منه، فضمه إليه، وقبل ما بين عينيه، وقال: الحمد لله الذي  
أخرج من صلبي، من يعينني على ديني، ثم قام، وأمر أن ينادي في  
الناس: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها . آفأت على الطريق: الدكتور:  
السيد محمد نوم ٨٥/٣.

والصدق يجعل المرء شامة وعلامة بين الخلق ، قال الشيخ عبد  
القادر الكيلاني رضي الله عنه بنيت أمري على الصدق وذلك أني  
خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتني أمي أربعين دينارا  
وعاهدتني على الصدق فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا عرب  
فأخذوا القافلة فمر واحد منهم وقال ما معك قلت أربعون دينارا فظن



أنى أهزأ به فتركنى فرآنى رجل آخر فقال ما معك فأخبرته فأخذنى إلى كبيرهم فسألنى فأخبرته فقال ما حملك على الصدق قلت عاهدتني أمى على الصدق فأخاف أن أخون عهدا فصاح ومزق ثيابه وقال أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا خاف أن أخون عهد الله ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة وقال أنا تائب لله على يدك فقال من معه أنت كبيرهم فى قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا فى التوبة فتأبوا جميعا ببركة الصدق .الصفوري: نزوة المجالس ومنتخب النفائس ١٦٠/١.

ومن الصدق حفظ الوقت والحرص على علو الهمة ، قال تعالى : " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) سورة: المؤمنون . وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ. أخرجه أحمد ٢٥٨/١ و٢٣٤٠ و"البخاري" ١٠٩/٨ (٦٤١٢).

ولسوف يحاسب المرء يوم القيامة عن كل لحظة من لحظات عمره ، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَنْ تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ". أخرجه الطبرانى في الأوسط (٧٤/٥ ، رقم ٤٧١٠) صحيح الترغيب والترهيب ٣/٢٢٧. يحكى أن الأمير ابن طولون أراد أن يؤدب ولده، وكان الولد أكولا نهماً ؛ فأرسل الوزير فى ساعة من الليل، وقال له: انتنى به فوراً ، ولا تسمح له بأكل شيء قبل أن تشخصه إليّ، ذهب الوزير، وقال

للولد: أجب الأمير، قال أمهلني قليلاً لآكل، قال: أجب الأمير فوراً على هيئتكَ الآن، وذهب الولد، فجلس في قاعة انتظار حتى طال به الجلوس واشتد به الجوع، قال والده: أدخلوه الغرفة؛ فدخل ووجد على الخوان ألواناً من الأطعمة اليسيرة التي نسميها (مقبّلات) الجرجير والبقول والسلطات وما شابه، فوقع عليها أكلاً حتى شبع وهدأت نفسه، ثم أمر الأمير أن يؤذن للولد على مائدة من أجود أنواع الأطعمة مما لذ وطاب من الوجبات الرئيسة، وعليها الأمير ووزراؤه وحاشيته، فأكلوا وانقبض الولد.. سأله أبوه: لماذا لا تأكل؟ قال: قد شبع، ولم أعلم أن ثمة طعاماً آخر هو ألد وأطيب. قال الأمير: إنما أحضرتك لألقنك درساً في حياتك، ليس لك إلا بطن واحد، فإذا ملأته بالبقول والأطعمة الأولية؛ لم تجد نفسك في الطعام الذي هو أكثر نفعاً وأعظم لذة، وهكذا إذا ملأت وقتك بالأمر الصغير ضاق عن جلائل الأعمال وفضائلها.

وها هو عمر يشجع ولده على حسن المشاركة مع الناس وعدم الاستحياء في طلب العلم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبُودَى. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدَّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَقَالَ هِيَ النَّخْلَةُ قَالَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ قَالَ لِأَنَّ تَكُونَ قُلْتَ هِيَ النَّخْلَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا. أَخْرَجَهُ "الْبَخَارِيُّ" ٢٣/١ (٦١) و"مسلم" ١٣٧/٨ (٧٢٠٠).

## ( ٣ ) الرسالة الثالثة

### حسن المعاملة وطيب الخلق مع جميع الخلق

حثنا الإسلام على حسن تأديب أولادنا بأدب الإسلام ، وتعويدهم منذ الصغر على حسن المعاملة وطيب الخلق مع جميع الخلق ، فإن ديننا الإسلامي الحنيف دين قامت دعائمه الأولى على أساس أخلاقي قويم ، ولقد وصف الله تعالى نبيه الكريم بالخلق العظيم فقال : **"وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) سورة القلم** ، بل إن الهدف الأول والأسمى من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم هو تميم ذلك البنيان ، وترسيخ ذلك الأساس والسمو به إلى ذروة تمامه وكماله ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ . وفي رواية الموطأ " مكارم الأخلاق " ٩٠٤/٢ أخرجه أحمد ٣٨١/٢ (٨٩٣٩) و"البخاري" في "الأدب المفرد" ٢٧٣ . وَعَنْ عَائِشَةَ ، رَحِمَهَا اللَّهُ ، قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ . أخرجه أحمد ٦٤/٦ .

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي حينما قال :

**وَإِذَا أَصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ \* \* \* فَأَقِمَّ عَلَيْهِمْ مَأْتِمًا وَعَوِيلًا**

وقال أيضاً :

**إِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ \* \* \* فَإِنْ هَمَوْا ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا**

فالإيمان القوى أساسه الخلق القويم ، وأن انهيار الأخلاق وانمحائها مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه ، فكلاهما متلازمان . وتلك أصول يجب تثبيتها في القلوب ، وكما قال زياد الأعرابي : " وإذا أثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسن بالفروع - ولا يظهر الود السليم إلا من القلب السليم " . ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٣ ص ١١ .

لذا فقد حثنا الله تعالى في كتابه الكريم على حسن تأديب أولادنا بآداب الإسلام الفاضلة مثل أدب الاستئذان والحديث مع الناس والتعامل معهم ، قال تعالى : " وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) سورة النور .

وقال سبحانه في وصية لقمان لابنه : " وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) سورة لقمان .

ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في حسن تربية الأطفال على معاني الرحمة والعطف ، والبعد عن الغيبة والنميمة والسب واللعن والقيل والقال ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْأُولَى ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانُ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدَهُمَا وَاحِدًا وَاحِدًا ، قَالَ : وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدَّيْ ، قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا ، أَوْ رِيحًا ، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةٍ عَطَّارٍ . أخرجه مسلم ٨٠/٧ (٦١٢٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: أَبْصَرَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُقْبَلُ الْحَسَنَ ، أَوْ الْحُسَيْنَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَ : إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ قَطُّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ لَا يُرَحِّمُ مَنْ لَا يَرْحَمُ. أَخْرَجَهُ "الْبُخَارِيُّ" ٥٩٩٧ و"مُسْلِمٌ" ٦٠٩٧.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ يَنْطَلِقُ ، وَنَحْنُ مَعَهُ ، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيَدْخُنُ ، وَكَانَ ظَنُّهُ قَيْنًا ، فَيَأْخُذُهُ فَيَقْبَلُهُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١١٢/٣ (١٢١٢٦) و"الْبُخَارِيُّ" ، فِي (الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ) ٣٧٦ و"مُسْلِمٌ" ٧٦/٧ (٦٠٩٥).

وعلى هذا سار السلف الصالح رضوان الله عليهم ، في "شرح الإحياء" للزبيدي ذكر في النهي عن الغيبة لحظ النفس: قول السبكي، فقال: "قال تاج الدين - أي السبكي - : كنت جالسا بدهليز دارنا، فأقبل كلب، فقلت: اخسأ كلب بن كلب، فزجرني الوالد من داخل البيت. فقلت: أليس هو كلب بن كلب؟ قال: شرط الجواز عمد قصد التحقير، فقلت: هذه فائدة". الزبيدي: شرح الإحياء ٥٦٦/٨، المناوي: فيض القدير ١١٥/١.

قال أحدهم :

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم \* \* \* إن الجواب لباب الشر مفتاح الصمت عن جاهل أو أحمق شرف \* \* \* أيضاً وفيه لصون العرض إصلاح أما ترى الأسد تخشى وهي طامئة \* \* \* والكلب يخسأ لعمرى وهو نباح

روت كتب الأدب أن صبيًا تكلم بين يي الخليفة المأمون فأحسن الجواب ، فقال له المأمون : ابن من أنت يا غلام؟ قال : أنا ابن الأدب يا أمير المؤمنين ، فقال المأمون: نعم النسب، ثم أنشد: **كن ابن من شئت واكنسب \*\*\* أدبا يغنيك محموده عن النسب**

كما حرص السلف رضوان الله عليهم على تأديب أبنائهم بآداب الإسلام العامة كآداب الطريق ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ مَعْقِلِ الْمُزَنِيِّ ، فَأَمَاطَ أَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، فَرَأَيْتُ شَيْئًا فَبَادَرْتُهُ ، فَقَالَ : مَا حَمَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ يَا ابْنَ أَخِي ؟ قَالَ: رَأَيْتُكَ تَصْنَعُ شَيْئًا فَصَنَعْتُهُ ، قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا ابْنَ أَخِي ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ أَمَاطَ أَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ ، كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ تَقَبَّلَتْ لَهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ. أخرجه البخاري ، في الأدب المفرد (٥٩٣).

كما ربوا أولادهم على معاني العطاء والبذل والإحساس بالآخرين ، عندما سمع أبو الدحداح الأنصاري رضي الله عنه قوله تعالى: " **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**". **سورة البقرة: ٢٤٥.**

فيسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله يستقرضنا؟ فيرد المربي العظيم صلى الله عليه وسلم: (نعم يا أبا الدحداح) فيقول رضي الله عنه: أرني يدك يا رسول الله فإني قد أقرضت ربي حائطي، وحائطه ذلك يومئذ من أجمل بساتين المدينة، وأحب ماله إلى قلبه، فيذهب إلى حائطه وينادي على زوجه أن اخرجي يا أم الدحداح، فقد أقرضت ربي حائطي، فتعمد الزوجة الصالحة رضي الله

عنه إلى صبيانها، تخرج ما في أفواههم، وتنقض ما في أكمامها من ثمر البستان، تربيههم بدورهم على نور (سمعنا وأطعنا) بفعلها قبل قول قولها، وهي ترد على زوجها: ربح البيع أبا الدحداح، ربح البيع أبا الدحداح، وهنا تأتي الجائزة النبوية لهذه الأسرة الكريمة، فيبشرهم رسول الهدى صلى الله عليه وسلم بقوله: (كم غنق رداح في الجنة لأبي الدحداح) . تفسير الطبري، (٣٨٥/٥)، تفسير ابن كثير (١٥-١٤/٨).

إن التربية الأخلاقية تهدف إلى بناء شخصية خلقية إنسانية؛ فإن أهمية هذا الهدف تظهر بوضوح في تربية الأطفال وهم صغار؛ فإن بناء الشخصية ينبغي أن يبدأ مع بناء الجسم واللحم ويتطور معه ويكتمل؛ حتى تصبح الأخلاق طبيعة ثابتة للطفل في كبره؛ لذلك عرّف الخلق: بأنه الطبع والسجية، وهو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب حتى يصير كالخلق فيه.

فالطفل يُولد على الفطرة، ونفسه ساذجة؛ فإذا قوبلت بخلق من الأخلاق تفشت فيه وفي جميع أطراف النفس وتصبح صفة راسخة فيه.

والتربية الخلقية تسبق التربية الاجتماعية؛ لأن الانتقال من الطبع المتكلف إلى الطبع الغريزي صعب، كما أن التربية الإيمانية لا بد أن تسبق التربية الخلقية؛ لأنها تُبنى عليها.